

10. آفة و مخاطر الخلط بين القراءة و التلاوة بالابتدائي

للقوف على مخاطر الخلط بين القراءة و التلاوة بالتعليم الابتدائي لا بد للرجوع أولا إلى الغايات الكبرى من التعليم بالميثاق الوطني للتربية و التكوين و دور مادة القراءة فيه، ثم بيان الحاصل عل أرض الواقع كنتيجة مباشرة للخلط المذكور بين القراءة و التلاوة.

1. الغاية من التعليم و دور مادة القراءة فيها

بحسب الميثاق الوطني للتربية و التعليم¹ و بحق، يمكن استنتاج ما يلي كغاية من المدرسة هو :

- 1) اكتساب رصيد من المعرفة و القيم و المهارات، يجعل من التلميذ في نهاية الابتدائي تلميذا متعلما و مميزا عن الأمي، ليس فقط بالقدرة على القراءة و الكتابة، و إنما برصيده العلمي و المعرفي و التربوي.
- 2) تربية التلميذ على حب التنمية المستدامة لرصيده المعرفي بالقراءة و المطالعة و التحصيل.
- 3) تمكينه في كل مرحلة من المهارات اللغوية و الحسابية و العلمية التي تعده لتحصيل المزيد من المعارف العلوم في المراحل القادمة و طيلة حياته.

هكذا تعليم القراءة و الكتابة و المهارات الحسابية، ما هي إلا أدوات في خدمة الغايات الكبرى من المدرسة و ليست أبدا هدفا في حد ذاتها.

و لا يتأتى كل ذلك لأي تلميذ من القدرة على قراءة الكتب و غيرها من مصادر المعرفة و ليس القدرة على مجرد تلاوة النصوص من دون إدراك محتوياتها.

2. الحاصل على أرض الواقع من جراء تحويل حصص مادة القراءة إلى حصص تلاوة

(أ) "وتؤكد دراسة بعنوان "التعليم للجميع" أن أكثر من 80% لا يفهمون ما يدرس لهم، وتضيف أن 16% فقط من تلاميذ الرابع الابتدائي يستوعبون المعارف الأولية لجميع المواد المقدمة لهم." ووجدت هذه العبارة في عدة مواقع من شبكة الانترنت من دون قدرتي وضع اليد على الدراسة. و لكن هذا المعطى ليس مبالغ فيه بالنظر لما جاء من إحصائيات الفصل الأول من هذا العرض.

(ب) و في نفس الموضوع تشير إلى هذا الانهيار دراسة للبرنامج الدولي للبحث حول القراءة أجريت عام 2006، إذ احتل تلاميذ الفصل الرابع ابتدائي المرتبة الـ43 على 45، وربعهم فقط وصلوا للمستوى الأدنى المطلوب².

(ج) يضاف إلى ذلك ما جاء في ملخص تقرير المجلس الأعلى للتعليم 2008. فأشار إلى ضعف تحكم نسبة هامة من التلاميذ في اللغات، و الذين لا يتقنون لغة التدريس (العربية)، على الرغم من استفادتهم من 3800 ساعة من تعلم اللغة العربية على امتداد مراحل التعليم الإلزامي³.

و لا عجب من كل تلك الإحصائيات و الدراسات التي تشير إلى عدم تمكن نسبة كبيرة من التلاميذ من فهم ما "يقرأون" إذا علمنا أن تعليمنا بالابتدائي يقع فيه الخلط الخطير بين القراءة و التلاوة في حصة مادة القراءة باللغتين. و الفرق بين الأمرين شاسع. و الخلط موجود حتى في بعض جل المعاجم العربية و كمثل على ذلك:

- جاء في الغني تعريف لفظ القراءة على النحو التالي :

¹ المصدر: النقطة السابعة من القسم الأول: المبادئ الأساسية من الميثاق الوطني للتربية و التعليم

² AMAQUEN : page 98 du *Rapport sur la Qualité du système d'éducation et de formation au Maroc* Edition 2008. Résultats du Maroc au PIRLS 2006

³ المصدر: الصفحة 7 ملخص التقرير السنوي 2008 للمجلس الأعلى للتعليم

قراءة - ج: ات. [ق ر أ]. (مص. قرأ). 1. "قراءة الكُتُب": تلاوتها. 2. "قراءة جَهْرِيَّة": نُطِقُ بِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَكْسُ: "قراءة صَامِتة". 3. "القراءات السَّبْع": أَوْجُهُ قِراءة القرآن الكريم.

ففي هذا التعرف: 1. "قراءة الكُتُب": تلاوتها، من جهة وهذا خطأ لأنه التلاوة هي "قراءة جَهْرِيَّة" وأغلب من يقرأ الكتب أو الجرائد لا يقرأها "قراءة جَهْرِيَّة" بل "قراءة صَامِتة". وبين الأمرين فرق أكد عليه صاحب المعجم في نفس التعريف بقوله (. "قراءة جَهْرِيَّة": نُطِقُ بِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ [هو] عَكْسُ: "قراءة صَامِتة")

● وجاء في تعريف لفظ التلاوة بنفس المعجم ما يلي:
تِلَاوَةٌ - [ت ل و]. (مص. تلا). 1. "تِلَاوَةٌ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ": قِراءتها تَرْتِيلاً. 2. "كِتَابُ التِّلَاوَةِ": كِتَابُ الْقِراءة.

فبعد تعريف ناقص لفظ التلاوة بقوله: (1. "تِلَاوَةٌ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ": [هو] قِراءتها تَرْتِيلاً.) من دون التركيز على أنها "قراءة جَهْرِيَّة": أي نُطِقُ بِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ، أكد مرة أخرى الخلط بين اللفظين بقوله: (2. "كِتَابُ التِّلَاوَةِ": [هو] كِتَابُ الْقِراءة.)

3. المعنى الصحيح للفظ "القراءة"

القراءة بأية لغة تعني استيعاب مضمون نص مكتوب و فهمه بمجرد المرور عليه بنظر العينين من دون ضرورة حتى لتحريك الشفتين. فالنطق بالنص ليس شرطاً في القراءة. فتتم قراءة النص من دون أبة ضرورة لتلاوة النص. و لا زالت و ستظل القراءة بمعناها الصحيح هي الأداة المثلى لاكتساب و تنمية كل أنواع المعارف. و ذلك إلى درجة أن القادر على القراءة -بمعنى فعم ما يقرأ- و الذي لا يقرأ لا كتب و لا غيرها من مصادر المعرفة لن يكون مع مرور الزمن أقل جهلاً من الأمي. و مرة أخرى، **فالقارئ** على وزن **فاعل** هو من جهة، القادر على فهم مضمون النصوص من دون ضرورة لتلاوتها. و هو من جهة ثانية الذي يقرأ و ليس مجرد القادر على القراءة. و عليه فمن مهام المدرسة تربية التلاميذ على دوام التحصيل بدوام ممارسة القراءة.

4. المعنى الصحيح للفظ "التلاوة".

تلاوة نص ما يعني النطق بكلماته. و ليس معنى ذلك أن من يستطيع تلاوة نص ما بلغة ما فهو يقرأه أي يفهم مضمونه. فكما سبق القراءة هي التي تعني القدرة على فهم النص المكتوب بأية لغة من دون ضرورة للنطق بكلماته، **فلهست إذن قراءة نص ما هي مجرد تلاوته**. بعبارة أخرى ليس كل من يتلو نصاً يفهمه. فلغالب المسلم غير عرب، و يتلون القرآن الكريم. و منهم عدد كبير ممن يحفظونه عن ظهر قلب، و لكن من دون فهم مضمونه لعدم فهمهم للغة العربية بالرغم من قدرتهم على النطق بنصوصها مشكولة. و عليه **فإنشاء التلميذ في القراءة باللغة العربية و اللغة الفرنسية بمدارسنا** تعني قدرته على التواصل مع الغير بالفهم السليم للنصوص المكتوبة. و منها قراءة كل أنواع النصوص المقررة في مستواه. و من يتلو نصاً و لا يفهم معناه لا يقرأ.

5. آفة و مخاطر الخلط بين القراءة و التلاوة في تعليمنا.

مع الأسف الشديد، هذا الخلط بين القراءة التلاوة دارج في مدارسنا. فغالبل حتى دائما ما يطلب الأستاذ من التلميذ "قراءة" نص في مادة القراءة و غيرها و هو يقصد مجرد "تلاوته". و حتى المفتش غالباً بل دائما ما يقيم قدرة التلميذ على "القراءة" بالاختصار على سماعهم يتلون النصوص. و أكثر من لئ هذا، سمي في وقت ما كتاب القراءة بكتاب التلاوة، كما ورد في تعريف لفظ "التلاوة" بالمعجم أعلاه.

كل هذا يترك في ذهن الطفل مفهوما خاطئا للقراءة. يظن المسكين أن النص مكتوب من أجل مجرد تلاوته على الغير وليس من أجل قراءته بمعنى فهم مضمونه. ويعاني من هذه الآفة بالخصوص أساتذة الرياضيات. فحينما يعرضون على تلاميذهم مسألة حسابية مثلا إلى غاية السادسة ابتدائي، من أجل حلها، تجدهم يسارعون في رفع أصابعهم طالبين الإذن بتلاوة نصها. وإذا ما ساء لهم الأستاذ وأذن لأحدهم بتلاوة النص، تجد التلميذ يتلوه حتى نهايته متعتعا ومن دون توقف. وفي النهاية يجمع يديه ناظرا للأستاذ ومنتظرا منه تقييمه لتلك التلاوة. بالانتهاء من تلاوة نص المسألة يعتقد التلميذ المسكين أنه قد أدى ما عليه بدلا من الانكباب عليها من أجل قراءتها وفهمها وتحليل معطياتها وأسئلتها من أجل حلها.

6. دور البرامج و المناهج في ترسيخ ذلك الخلل بين القراءة و التلاوة

و التمارين التطبيقية الكفيلة بتنمية كل الكفايات عند التلاميذ، هي بالضبط التي يقع فيها التقصير بالمدرسة الابتدائية العمومية من جراء مضامين المقررات و المناهج و الكتب المدرسية التي يتم فيها التركيز و حتى الاقتصار أحيانا على حشو عقول التلاميذ بكم هائل من القواعد و المهارات. و من تلك الآفات التركيز على تلقين التلاميذ مهارة تلاوة النصوص بدلا من تمكينهم من قراءتها أي من فن فهم مضامينها. وإذا ما اعتبر الأستاذ أن الغرض من حصة القراءة هو الاقتصار على سرد التلاميذ للنصوص، فقد يطالبهم بحفظ نصوص القراءة بالبيت، حتى يجيدوا تلاوتها بالقسم، وهذا ما يحصل غالبا و من الآباء من الضغط على أبنائهم من أجل أن ينزوا بركن من البيت للحفاظ عن ظهر قلب لنصوص "القراءة". وإذا ما حضر زائر بالقسم لحصة مادة "القراءة" كالمفتش على الخصوص يجد تلك تلاوة النصوص -المحفوظة عن ظهر قلب بالمنزل- مبهرة له فيستحق بها الأستاذ تشجيعا.

و تحصل الآفة بكل معانيها حين نبال بالفعل هذا الأسلوب من التدريس إعجاب المفتش، و هو الذي غالبا ما يقع الشيء الذي من شأنه تكريس هذا الخلل المميت بين القراءة و التلاوة في ذهن الأساتذة و في ذهن التلاميذ. و بالفعل و مع الأسف الشديد فاستقرار الواقع يؤكد أن المفتش كثيرا ما يقنع بسماع التلاميذ يتلون النصوص من أجل الحكم على قدرتهم على "القراءة"، بدلا من أن يناقشهم في مضمون النصوص المتلوة كي يتبين من مقدار فهمهم لها. و بذلك التقصير في التأطير يظل الأستاذ يحسب نفسه قد أدى ما عليه في حصة القراءة حين يحولها إلى حصة تلاوة.

و مما يساهم في أمية تلاميذ الابتدائي العمومي في اللغتين العربية و الفرنسية، و المستنتجة من نسب الحاصلين فيها على المعدل في الامتحان الموحد الإقليمي للانتقال تلاميذ السادسة إلى سلك الإعدادي، هو الخلط من غير قصد بين القراءة و التلاوة. فحين تتحول حصة القراءة إلى **حصة تلاوة بالتناوب من تلميذ لآخر** بعد التلاوة "النموذجية" من طرف الأستاذ، و من دون أي توقف من أجل مناقشة مضمون النص، لا تكون تلك الحصة فقط عقيمة من حيث تمكين التلاميذ من كفاية القراءة، بل تولد لديهم التعب و الملل المميت و حتى المنفر لهم من الدراسة. و يمكن ملاحظة مظاهر ذلك التعب بالقسم من جراء مثل هذه "الدروس" المملة، انفجار التلاميذ جريا و صياحا فور خروجهم من الأقسام.

الطفل كثلة من الطاقة تنفجر بعد أن كانت مكبوتة بالقسم. بسبب انعدام دروس يفرغ فيها تلك الطاقة لتفريغها بالقسم و جب وضع التلميذ أمام تحديات حقيقية من مثل رفع تحدي فهم نص مثلا بدلا من تلاوته بالتناوب، أو شكل قطعة أو تلخيص النص المقروء أو إملاء نص أو تحرير موضوع إنشائي، أو حل مسائل حسابية بدلا من مجرد إنجاز عمليات خارج أي سياق و بدلا من استظهار جداول الضرب أو جداول النظام المتري أو القيام بتحويلات فيه.

7. تبعات الخلل بين القراءة و التلاوة طيلة الحياة الدراسية للتلميذ

تستمر تبعات آفة الخلل بين القراءة و التلاوة تلاحق جل الطلبة بالإعدادي و الثانوي. فلا يكفي الطالب تواجد المقرر بين يديه في الاجتماعيات و التربية الإسلامية مثلا، من أجل فهم و تحصيل ما فيها من معارف، لأنه يظل في

حاجة لشرح و تفسير الأستاذ حتى لأبسط و أوضح ما فيها من نصوص معرزة بالرسوم و الصور و الوثائق . و إذا كان هذا هو الحال البئس بالنسبة للنصوص المقررة, فمن أين للتلميذ بلوغ غاية ممارسة القراءة كهواية من أجل تنمية معارفه بمحض إرادته طيلة حياته؟ الخط بين القراءة و التلاوة بالمدرسة يقتل في أبنائنا و بناتنا حب ممارسة القراءة و يحول بذلك دون تثقيف أنفسهم بتكوينهم الذاتي. **و نتساءل و نستغرب من لئون جل المغاربة لا يقرؤون.** و ننسى بل لا ندري أننا فقط **نجني ما نزرع بالمدرسة.** لو زرع بها حب القراءة بدلًا من مجرد التفتن في تلاوة النصوص لجئنا عدا و افرا ممن يقرءون ببلدنا. و لو زرعا بها حب الكتابة لجئنا عدا غير يسير من الكتاب. قس على ذلك في باقي العلوم و المعارف.

8. فوائد للأساتذة و الآباء

- 1) **و كفاءة لنا نحن أولياء أمور التلاميذ,** حين نريد إما اختبار كفاية القراءة عند أبنائنا و بناتنا ببيوتنا, و لرجال و نساء **التعليم بأقسامهم,** أو نريد مساعدتهم فيها, علينا أن نتحاشى البدء بمطالبتهم بتلاوة نص ما, بل نطالبهم عوض ذلك, و ابتداء من السنة الأولى ابتدائي, بقراءة النص في صمت **ثم نناقش معهم محتواه.** و بعد تأكدنا من حسن فهم النص يمكننا مطالبتهم حينئذ بتلاوته. هكذا يفهم التلميذ أن الغرض من القراءة ليس هو تلاوة النص كما هو شأن بمدارسنا العمومية, بل **استيعاب مضمونه.** و في مثل هذا التمرين تحدي مشوق و ممتع للتلميذ و لأستاذه و لولي أمره المساعد له بالبيت. و هذه الفائدة تهم بالأساس رجال و نساء التعليم و لا سيما بالابتدائي. و الأمر يهم اللغتين العربية و الفرنسية.
- 2) و هناك أمر آخر فيما يخص باقي المواد العلمية و المعرفية, فكثيرا ما نطالب أبنائنا و بناتنا بالانزواء في ركن من البيت من أجل حفظ دروسهم, بعبارة **"سير تحفظ".** و هذا الأسلوب من شأنه تنفير التلميذ من الدراسة, لأنه يرى و يحق, في الحفظ عن ظهر قلب عقوبة مجانية. بالنسبة للطفل و الشاب ليس في حفظ ملخصات الدروس عن ظهر قلب أي تحدي مفيد. فبدلا من ذلك المطلوب من و لي أمر التلميذ أن يبدأ بالاطلاع على فحوى الدرس ثم اختبار مدى استيعاب الولد أو البنت للمعلومات الموجودة به, بوضع أسئلة الفهم. هذا ما يجعل التلميذ من جهة يتشبع بأن المهم من الدرس هو مضمونه و ليس نصه الحرفي, و يجعله من جهة ثانية يتعود على ابتكار طريقة خاصة به يخزن بها في ذاكرته المعلومات الموجودة بنصوص الدروس, بدلا من حفظها المتعب عن ظهر قلب. الحفظ عن ظهر قلب مطلوب فقط في نصوص القرآن كريم و الأحاديث النبوية و النصوص الأدبية المتميزة من شعرو نثر, و مقولات الأعلام و الأحكام و الأمثال الخ...

9. تعلم القراءة من خلال تحصيل المواد المعرفية

و من حسن حظ التلاميذ بالابتدائي, تمكنهم بمحض الصدفة من القراءة باللغة العربية بالخصوص, بحكم أن هذه اللغة مستعملة كأداة **تحصيل** لمواد أخرى كالتربية الإسلامية و النشاط العلمي و الجغرافية و التاريخ. هنا تصبغ نصوص تلك المواد مادة للقراءة بمعناها الصحيح, لأن الأستاذ يعرف أن المطلوب هنا هو إدراك مضامينها. و هكذا تمكنت الأجيال الأولى من المغاربة من بعد الاستقلال من التواصل كتابة – استقبالا (القراءة) و إرسالا (الكتابة) – باللغة الفرنسية في سن مبكرة. كانت هذه اللغة أداة **تحصيل** في مادة الرياضيات و في مادة "دروس الأشياء" بالابتدائي, و في مواد الرياضيات و العلوم و الجغرافية و التاريخ بلإعدادي و الثانوي.

و الأستاذ بالابتدائي اليوم, الذي لا زال يطالب بتلاوة نصوص القراءة بالتناوب بين التلاميذ, خير دليل على أنه لم يستوعب بعد جيدا أن القصد من **حصّة القراءة** هو بالضبط فهم نصوصها على غرار ما هو مطلوب في مادة التاريخ و الجغرافية و غيرها, و ليس مجرد تلاوتها بالتناوب من بداية الحصّة إلى نهايتها.

و مرة أخرى و دائما, فلن تكون حصّة القراءة حصّة فهم و مناقشة لمضمون النص المقروء و لن تكون باقي حصص المواد الأخرى المهمة من تعبير كتابي و رياضيات حصص مفيدة و نافعة, إلم يوجد متنفذ إقليمي في المؤسسات التعليمية بالمواصفات التالية:

- (1) حرا في التصرف في البرامج المقررة على غرار أصحاب المدارس الحرة
- (2) محاسباً في نهاية كل سنة دراسية عن مجمل نتائج المؤسسات التعليمية العاملة تحت نفوذه.

من أجل المساواة من الأعلى بين التعليم العمومي و التعليم الحر , أي من أجل أن يلتحق الأول بالثاني فلا بد للأول من وجود مسؤول عن نتائجه كما هو الحال بالثاني.

كتابة تعليق	الرجوع إلى الصفحة الرئيسية....
-----------------------------	--